(٥) محمد بن واسع[١]

ذكر محمد بن واسع رحمه الله:

كان في وقته عديمَ النظير، وقد خدمَ كثيرًا من التابعين، وتشرّف بصحبةِ طائفةٍ عظيمة من المشايخ رضي الله عنهم، وكان له في الشريعة والطريقة حظٌّ وافر، وكان في الرياضة بحيثُ يبلُّ الخبزَ بالماء ويأكله ويقول: من قنع بهذا يصير[٢] غنيًا عن الخلق.

وقال في بعض مناجاته: إلهي، تجعلني جائعًا عاريًا كالمُحبّين، فبم وصلتُ إلى هذا المقام؟ وبمَ أدركتُ هذا الحال حتى يكونَ حالي مثلَ حالِ محبّيك؟

وكان في بعض الأيام يأتي إلى الحسن البصري رضي الله عنه مع بعض الأصحاب من غاية الجوع، وما يجدُهُ هناك يأكلُهُ[٣]، وحين يأتي إليهم الحسنُ البصري، ويراهم يأكلونَ من الطعام في بيته يفرحُ.

ومن كلامه أنه كان يقول: طوبى لمن يصبح جائعًا، ويُمسي جائعًا، وكان مع هذا راضيًا من الله تعالى.

وقيل: استوصاه شيخٌ، فقال: أوصيك بوصيةٍ[٤] تكون بها سلطانًا في الدنيا

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤١، طبقات خليفة ٢١٥، تاريخ خليفة ٣٧٨، التاريخ الكبير ١/ ٢٥٥، التاريخ الصغير ١/ ٣٥٤، الجرح والتعديل ٨/ ١١٣، ثقات ابن حبان ٧/ ٣٦٦، حلية الأولياء ٢/ ٣٤٥، صفة الصفوة ٣/ ٣٦٦، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٤٦٩، مختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٨٦، تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٧٦، سير أعلام النبلاء ٦/ ١١٩، العبر ١/ ٢٩٠، تاريخ الإسلام ٥/ ١٥٩، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٥٨، الوافي بالوفيات ٥/ ١٧٢، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٩٩، طبقات الشعراني ١/ ٣٦، الكواكب الدرية ١/ ٤٣٠، شذرات الذهب ١/ ١٦١.

(٢) في (أ): من رضي بهذا يصير.

(٣) في (أ): وما يجدوه هناك يأكله.

(٤) في (ب): أوصيك بوصيتين.

والآخرة. فقال: كيف يكون ذلك؟ قال: ازهد في الدنيا، فإذا زهدتَ فيها ترى نفسك غنيةً عن الخلق، وتراهم يحتاجون إليك، وهذا هي السلطنة في الدنيا، وإذ حصلتْ لك هذه السلطنة في الدنيا ترجو أن تصير سببًا لحصول السلطنة في الآخرة.

وقال لمالك [بن دينار] رحمه الله: حفظُ اللِّسان أصعبُ على الناس من حفظ الدرهم والدينار.

وقيل: دخل على قتيبةَ بنِ مسلم[١] وعليه جبَّةُ صوفٍ، قال له قتيبة: لمَ لبستَ الصوف؟ فسكت وما تكلّم، ثم سأله ثانيًا، فلم ينطق، قال: لِمَ لا تتكلّم؟ قال: وما أقول؟ فإنّي وإن تكلّمتُ في ذلك يكون كلامي إمّا ثناءً على زهدي، وإمّا شكايةً من الله تعالى على الفقر

ورأى ابنًا له في بعض الأيام يَمشي ويتبخترُ في مشيه، فدعاهُ إليه، وقال: هل تعرف من أنت؟ اشتريتُ أمَّك بمئتي درهم، وأبوك من ليسَ بين الناس أحدٌ أذلَّ وأنقص منه، فهذا التبختر من أين لك؟

قيل له: كيف أنت؟ قال: كيف يكونُ من يُنتقصُ عمرُه، وتزدادُ ذنوبُهُ.

وكان في المعرفة راسخًا.

ومن كلامه أنه قال: ما رأيتُ شيئًا إلاّ ورأيتُ الله فيه[٢].

وقيل له: تعرف الله؟ فسكت ساعةً، وأطرق رأسَه، ثم رفع رأسه، وقال: من عرفَهُ عزَّ وجل قلَّ كلامُه، وكثرُ تحيُّره.

وقال: من عرفَ اللهَ تعالى وعزَّتْ به معرفته حقَّ عليه أن لا ينظر إلى غيرِه، ولا يختار عليه شيئًا، والله أعلم.

* * *

(١) هو قتيبة بن مسلم الباهلي، أبو حفص (٤٩ـ٩٦هـ) أمير فاتح، من مفاخر العرب.

(٢) في هامش (أ) جاء ما نصُّه: نعوذ بالله من هذا الكلام المخالف لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ . . .﴾ الآية [الأنعام: ١٠٣].

أقول: والكلام قد بُني على حذفٍ، أي: ورأيت صنعَ ـ أو قدرةَ ـ الله فيه.